ثورة الأطفال

نبيل خلف



دار الشروق

ثـــورة الأطفـــال

ثـورة الأطفـال

رواية للأطفال

تأليف

نبيـل خــلف

رسوم

طــارق علـــى

تصميم و إخـراج

القسم الفنى بدار الشروق

الطبعة الأولى ٢٠٠٢

الترقيم الدولى I.S.B.N 977-09-0841-X

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٢/١٣٠٥٣

فصل الألوان والطباعة
مطــــابع الشـــــروق

دار الشروق
القاهرة ٨ شارع سيبويه المصري ـ رابعة العدوية
مدينة نصر ـ ص.ب. ٣٣ البانوراما
ت :٤٠٢٣٣٩٩ فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ ٢٠٢+
e-mail:dar@shorouk.com
www.shorouk.com

ثــورة الأطفــال

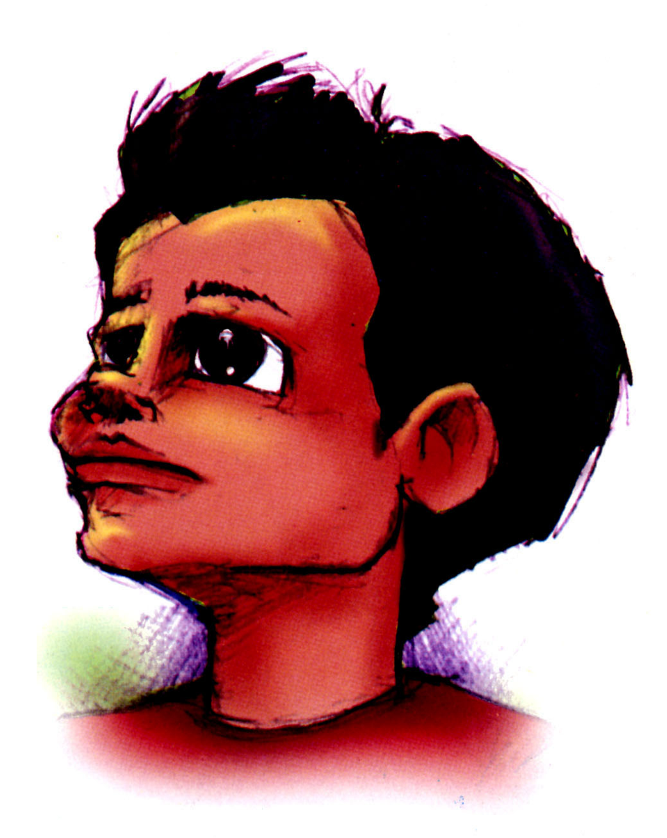
روايـة للأطفال

تأليف

نبيـل خــلف

رسوم

طـــارق علــــى



دار الشروق



いいえ
lagen
لا [laː] 1. nein!
Nein n; 3.
أهمية لا

(١)

شجــــرة لا...

لم تعد العصفورة الأم تخشى بطش الحاكم القزم الذى أصدر قراراً بإلغاء الأمومة بين البشر والطيور والحيوانات والحشرات والكائنات الحية كافة. جند الحاكم القزم جيشاً جراراً، ليطارد العصفورة الأم، بعد أن رفضت الامتثال لأوامره، وهربت بفرخها، عندما وقفت البيضه فوق شجرة رابضة فى فناء قصره، وقد التفت فروعها على نافذه غرفة نومه، وشكلت بأوراقها الخضراء كلمة لا بكل لغات العالم. كان الحاكم القزم كلما مزق تلك الأوراق بخنجره الذهبى نمت من جديد، وكبرت حروفها، وتزايدت أشواكها التى أدمت أصابعه مرارا، وبث الذعر فى قلبه، وكادت تصيبه بالجنون والخبـل.

استدعى الحاكم القزم علماء النبات من جميع أرجاء الدنيا، وأنفق ببذخ على بحوثهم فى الهندسه الوراثية، حتى يصلوا إلى حل علمى يغير الصفات الوراثية لتلك الشجرة، فتكتب بأوراقها كلمة نعم، لكن جهودهم ضاعت سدى إلــى الآن.
وها هى تمعن فى تمردها حتى أوت عصفوراً مارقاً بين فروعها، رفض أن يتخلى عن فرخه، واستطاع أن يعلمه الرفرفة والرفيف والتحليق والتدويم والتغريد أيضاً؛ برغم طلقات الرصاص التى انهالت عليه كقطرات المطـر.

كان إصرار العصفورة الأم على تعليم فرخها التغريد والطيران يتزايد كلما نظرت إلى العصافير التى حرمت أمهاتها، وأضحت صماء بكماء؛ لأنها لم تجد أحداً يعلمها كيف تجرب مناقيرها وحناجرها وعضلاتها الرئوية، تجر أجنحتها على الأرض، وتتمسح فى أقدام الحراس، بعد أن فقدت قدرتها على الطيران
لم تقبل العصفورة الأم بأن يلقى فرخها هذا المصير. وبعد أن أنهت مهمتها

المقدسة، خرجت من مخبئها وأطلقت عصفورها الصغير فى الريح، ترى ريشه الأزرق يتلألأ تحت ضوء الشمس، وتسمعه وهو يشدو بأغرودته الأولى التى تبدأ بكلمة لا.



(٢)

الخنفساء البلياتشو...

نهض الحاكم القزم فزعا، حين أحس بأن أغرودة العصفور الأزرق تنتشر فى كل مكان فى القصر ، وتكاد تصم أذنيه. ولم تكن تلك الأغرودة مجرد زقزقة خفيفة يشدو بها عصفور صغير نشوان بنور الصبح ، أو بهزهزة الفروع الخضراء؛ إنما كانت نشيداً صاخباً لجوقة من آلاف العصافير الغاضبة هز أعمدة القصر، كأنه شجرة يابسة عصفت بها الريح.

سد الحاكم أذنيه بقطع من القطن والفلين، بدون جدوى، وجرى كالمجنون صوب النافذة التى تلتف حول قضبانها فروع الشجرة المتمردة ، فرأى العصفورة الأم التى اغتالها الحراس ملقاة على الفروع.

وقد اصطبغت بدمها الأحمر القانى، وشكلت كلمة لا. توهجت الحروف الخضراء الحمراء الزرقاء بضوء فوسفورى أوشك أن يغشى عينيه، فأسرع الحاكم بالفرار من غرفته، وهرول إلى فناء القصر ... اصطدمت قدماه ببعض العصافير الكسيحة التى كانت تتجول فى القصر، فداس على بعضها، ليشفى غليله فجأة؛ توقف أمام خنفساء عملاقة تشبه البلياتشو تنتشر على جسدها علامات حمراء وبيضاء وسوداء. كانت الخنفساء تستند على الشجرة المتمردة؛ بينما كان جزعها يهتز بعنف تعبيراً عن نفورها وإشمئزازها.

قهقهت الخنفساء البلياتشو كساحره عجوز. وقالت للحاكم القزم : " لا تجعل القلق يسيطر عليك ويهز كيانك، فلتهدأ قليلاً، حتى نستطيع أن نعقد اتفاقاً يريحك من هذا العذاب ".



(٣)

الأكذوبـــــة...

" لم يكن ذلك حلماً بل حقيقة تتجاوز الكابوس بشاعة، وما زالت تجثم على صدرى إلى الآن . . . كان عمرى وقتئذ خمس سنوات . . . كنت مسترخياً على سرير معلق بين شجرتين أمام قصر أبى الذى كان حاكماً للمدينة. رأيت الناس يركضون بشكل جنونى، وجدراناً لونها بنى تتهاوى أمام عينى، وغباراً كثيفاً يشبه بخار الذئبق يصبغ وجوه الناس بلون رمادى . . . تحطمت أرجوحة نومى وسقطت على الأرض. مددت يدى لأمى التى اندفعت نحوى، فإذا بى أمام طفل غريب ذى وجه عريض مسطح، يقع رأسه مباشرة على جسده أى بلا عنق، له عينان كبيرتان مائلتان بنهايات حادة ممتدتان نحو جانبى الرأس، وأنف صغير جدا، والفم عبارة عن فتحة عادية خالية من الشفتين...

مد ذلك المخلوق الفضائى كفه المجهزة بثلاثة رءوس حادة كالمسامير وغرزها فى جسدى، لم أشعر بألم ، واجتاحت قشعريرة جسدى، كأن سيلاً من الثلج المصهور يتدفق فى دمى، ثم أخذ عينه من بشرتى بعملية قشط فى ذراعى وقلم أظافرى. نحا ذلك الطفل الغريب نحو جسم طائر مجهول كان يهبط ببطء وبث نوراً بنفسجياً، وأشار لعدد من الأطفال الشقر ذوى الشعر المصفوف بمادة صمغية، ودار بينهم حديث بلغةغريبة تشبه صرير أبواب صدئة، فاتجه الأطفال نحو أمى التى كانت ملقاة على الأرض، من دون أن يحركوا أيديهم وأرجلهم التى كانت ملتصقة بأجسادهم، وجروها بلا عناء نحو ذلك الجسم الطائر المجهول، وشممت بعد ذلك رائحة الكبريت، فاستغرقت فى نوم عميق ..

لم يكن الحاكم القزم يحكى تلك الحادثة للخنفساء البلياتشو التى كانت راقدة أمامه على مائدة الاجتماعات، بل يتحدث إلى نفسه، ولذلك، صعق من الدهشة حين قالت له:

-((لكنك لم تذكر شيئاً عن مصير !)) .



قال الحاكم القزم متلعثماً :

- "قبض عليه الثوار ونفوه خارج البلاد . لقد كانوا من الأطفال أيضاً.

وعلمت من مصادر موثوق بها أن أطفال المدينة الثائرين تحالفوا مع أطفال الكواكب الأخرى للإطاحه بحكم أبى.

نظرت الخنفساء البلياتشو بسخرية إلى جسده الضئيل، وهمست : ((يبدو أنه صدق الأكذوبة التى نشرها عبر أجهزة الإعلام عن المخلوقات التى جاءت من الفضاء فى طبق طائر. وحقيقه الأمر أن الذين ثاروا ضد أبيه هم الأطفال المساخيط الذين أجروا عليهم تجاربهم الأولى الخاصة بهورمون النمو)).

تنبهت الخنفساء البلياتشو إلى أن الحاكم القزم يحملق فى وجهها بدهشة، فقالت له:

- ((هل كان أبوك قزماً أيضاً ؟)).

أجاب الحاكم محتداً :

-" بل كان رجلاً عملاقاً كل الكائنات تخشى بأسه " .

انبعث من جسد الخنفساء البلياتشو ضوء أخضر يبهر الأبصار، وأخرجت من بين أجنحتها قنينة صغيرة ، وقالت للحاكم: " هذه القنينة مملوءة بهورمون النمو الذى أنتجته المخلوقات البكتيرية، إن شربت منها أصبحت عملاقاً مثل أبيك ومثلى " .

قفز الحاكم القزم من مقعده ماداً يده، لينتزع القنينة من الخنفساء، إلا أنها رفعت زبانييها محذرة، وقالت له : " لن تشرب قطرة واحدة من هذه القنينة إلا بعد تنفيذ شروطى، وإعلان ذلك فى احتفال عام، يحضره قناصل الدول وسفراؤها وممثلون شعبيون من المدينة وطفل من معسكر الأطفال " .

(٤)

الاحتفــال...

لم تشهد المدينة منذ سنوات احتفالاً فخماً مثل ذلك الاحتفال، فلقد خيمت الكآبة عليها منذ أن أصدر الحاكم قراره الشهير بإلغاء الأمومة، وعزل الأطفال فى معسكرات تشبه معسكرات الاعتقال.

حشد الحاكم القزم جميع الإمكانات لجعل الاحتفال لائقاً بتلك المناسبة العظيمة، فاستدعى الطهاه من كل أرجاء العالم، واستقدم فرق الرقص والفنون الشعبية، والفرق الموسيقية التى تستخدم حزم الليزر الملونة، ولاعبى الأكروبات والجودو، واعد مفاجأة للخنفساء البلياتشو، بأن حشد جميع الحشرات الموسيقية، وكون منها أوركسترا من نوع عجيب، تقوده الجرادة الضاربة على الطبلــة.

ضحكت الخنفساء البلياتشو ساخرة من الحاكم القزم الذى كان يهرول من غرفة إلى أخرى، ويتدحرج على الأرض مثل كرة من المطاط. وكلما قرب موعد الاحتفال زاد في إرتباكه وقلقه، برغم أنه تفقد كل شيءبنفسه عدة مرات، بدءاً من ترتيب المائدة وانتهاء بمكبرات الصوت.

كف الحاكم فجأة عن نشاطه المحموم، وراح يتأمل ببلاهة زيه البرتقالى الذى يشبه زى المهرجين وحذاءه الأحمر الصقيل، ومقعده الصغير، ثم سأل نفسه: "كيف لم أنتبه إلى ذلك؟! هذا الزى لن يلائمنى حينما أصبح عملاقاً، وهذا الحذاء لا يصلح إلا لدميه صغيرة، أما المقعد فلا يسع إلا قرداً صغيراً " .

صرخ الحاكم القزم مثل أوزه بح صوتها مستدعياً الحراس والوزراء والخدم، لكى

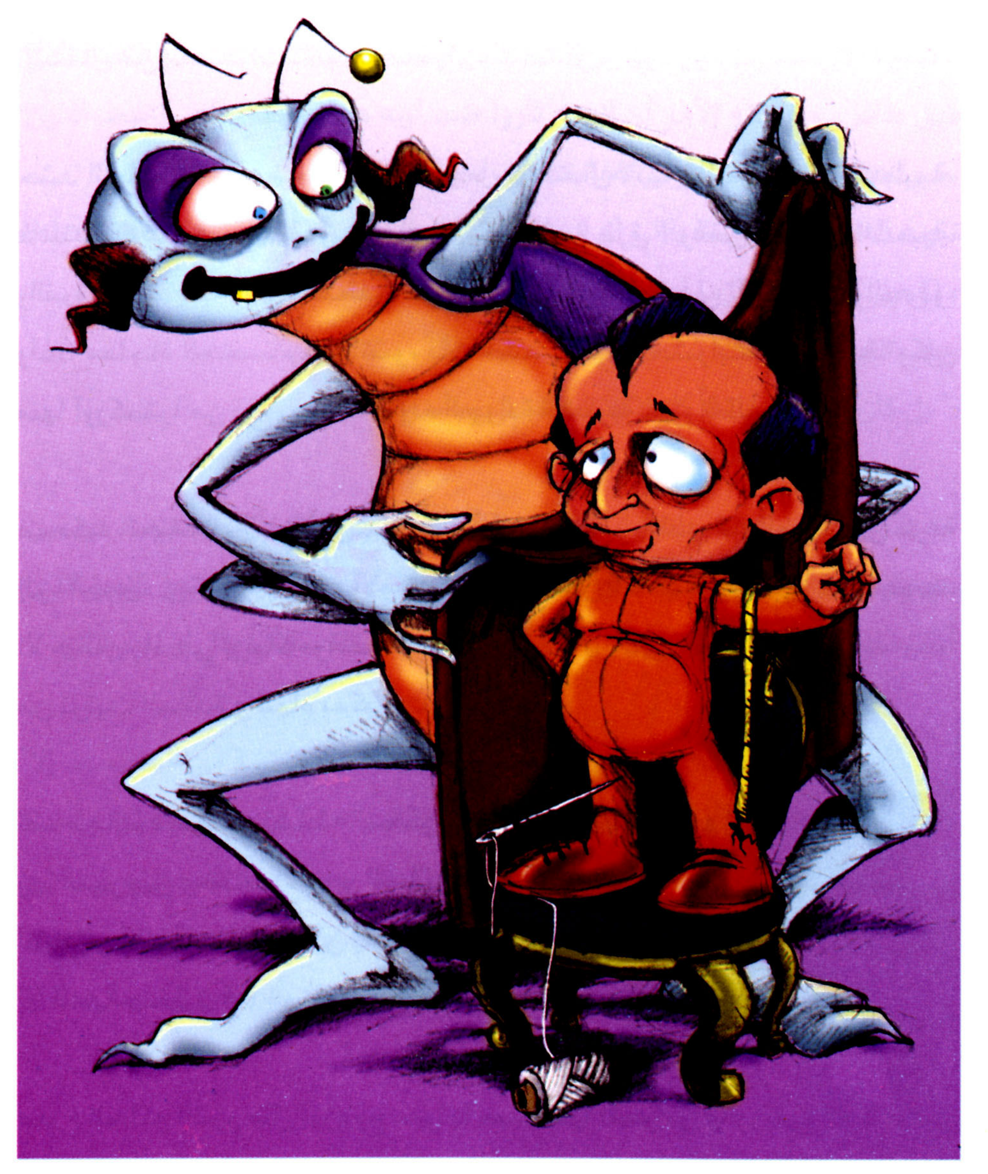
يحضروا حائكاً يعد له ثوباً ملائماً من الفرو. لكنه فوجئ بالخنفساء البلياتشو تمد زبانييها وتشده من ياقته وتقول ضاحكة: " لا تقلق . فلقد كلفت المخلوقات البكتيرية بأن تعد لك زياً حريرياً فاخراً. وأعطيتها القياسات الجديدة لجسدك العملاق. أما المقعد فسوف تصنعه لك من حطام شجرة لا ".

صرخ الحاكم القزم حتى خرج الزبد من شدقيه وقال: " لا تجعليهم يقطعون هذه الشجرة ، فلابد من أن تقول لى نعم، بجذعها وفروعها وأوراقها ، قبل أن تموت".

لم تعره الخنفساء البلياتشو اهتماما، وأمرت العمال بالبدء فى تقطيع الشجرة وفرمها، حتى تعد المخلوقات البكتيرية مقعداً وثيراً من نشارة خشبها.

ضاع صراخ الحاكم القزم وعويله فى الضجيج الذى أحدثه المنشار الكهربى، وبددته تماماً أوامر الخنفساء البلياتشو للعمال بأن يتوقفوا عن العمل، مشيرة إلى طفل صغير يحاول الاختباء خلف فروع شجرة لا ، وقالت بصوت يمتلئ غيظاً : " اقبضوا على هذا الطفل حياً. فهو الذى داس على جسدى الضعيف - بدون رحمة - عندما كنت خنفساء صغيرة الحجم. هذا الطفل هو الذى جعلنى أكره بعمق كل أطفال العالم ".





(٥)

الحلم الذى ضاع ...

إجتاحت قاعة الاحتفالات الكبرى فى قصر الحاكم عاصفة من الرعب، عندما أبلغ الحراس الخنفساء البلياتشو بعجزهم عن القبض عل الطفل الصغير الذى نجح فى التسلل إلى داخل القصر. لطمت الخنفساء البلياتشو الحراس بأجنحتها الضخمة، ثم تمطت وراحت تخور، واستحالت إلى الخنفساء المدفعية، وأطلقت عليهم سائلاً تحول تواً إلى بخار أزرق له رائحه منفره . سكب السفراء وقناصل الدول الأجنبية زجاجات كاملة من العطر على ملابسهم ، وبرغم ذلك لم يحتملوا تلك الرائحة ، فلاذوا بالفرار وهم يسعلون سعالاً حاداً. وحين أراد احد الصحفيين أن يحظى بسبق صحفى ويصور هذا المشهد النادر، إستحالت الخنفساء البلياتشو إلى خنفساء الفقاقيع ، وأطلقت فى وجهه سائلاً زيتياً أصفر لاذعاً كالحامض. من مفاصل أرجلها، كاد يصيبه بالعمى، وإنتزعت بزبانييها آلة التصوير وحطمتها.

خشى الحاكم الذى كان يرتعش من الفزع أن يفسد الاحتفال ويضيع حلمه إلى الأبد، فانسل بين المقاعد حتى وصل إلى المسرح، وأعطى اوامره لفرقة الحشرات الموسيقية بالبدء فى فقرتها، عسى أن تمتص فورة الغضب التى إستحالت معها الخنفساء البلياتشو إلى خنفساء هرقل الرهيبة ذات الفك العلوى المشقوق التى يمكنها ان تلتهم أى شيء يمر أمامها. أشارت الجرادة الضاربة على الطبلة بجناحيها لفرقتها الموسيقية لتبدأ فى العزف، فقام حفار المنازل - وهو مطرب الفرقة بحك جناحيه معاً ، ثم كتم الصوت الناتج من ذلك ،فبدا كأنه يتكلم من بطنه. لم تستطع الخنفساء البلياتشو أن تحتمل تلك الأغنية السخيفة التى

زادها حفار الغيط سخافة بإضافة نغمته المكتومة " تشورب . . . تشورب . . . تشورب "، بينما أرسل النطاط ذوالرأس المخروطى نغمه عالية بحك جناحية على فخديه. أما عازفات الكمان - وهى صراصير الغيط - فقد زادت الطين بلة بنغمتها العالية " تريت . . .تريت . . . تريت " ، ثم الأخرى الواطية " كرى. . . كرى . . . كرى " ، والثالثة المكتومة " جرو . . . جرو . . .جرو ". لملمت الخنفساء البلياتشو جم غضبها وإستحالت إلى الرعاشه المسماه بإبر الشيطان، فاكتسى جسدها باللون القرمزى، وطارت نحو المسرح ، وانقضت على فرقه الحشرات الموسيقية والتهمتها، حشره بعد الأخرى، ثم نظرت شذراً نحو جمهور الحاضرين، وأرسلت من عينيها ومضات صفراء أصابتهم بحالة من النعاس والخمول، ثم انقضت عليهم وأفرزت على أجسادهم سائلاً حارقاً، فأفاقوا من غفوتهم، وأسرعوا يقفزون من نوافذ القصر وهم يصرخون من الألم.

أما الحاكم القزم، فقد اختبأ تحت أحد المقاعد، وراح يولول ويلطم خديه ويبكى حلمه الذى ضاع.



(٦)

عصفور العواصف ...

أطلق الأطفال على العصفور الأزرق الذى أخفوه فى معسكرهم بعيداً عن عيون الحاكم وجواسيسه - عصفور العواصف. فمنذ أن تعلم التغريد، وسط طلقات الرصاص وتهديد الجنود ووعيدهم، وهو لا يبدع فى تغريده إلا عندما تتعرض المدينه لكارثه أو محنه أو مأساه.

وقد اعتاد الأطفال أن يرهفوا السمع إلى عصفور العواصف الذى كان يشدوبأنشودة الغضب ليل نهار، بعدما تسربت إليهم أنباء الاتفاق المخجل - بين الحاكم والخنفساء البلياتشو - الذى بموجبه يصبح لها حق الإشراف الكامل على معسكرات الأطفال، وإعطاء المخلوقات البكتيرية حق السيادة على البشر والطيور والحيوانات، وتزويد مستعمراتها بالإمكانيات التكنولوجية الحديثة التى تتيح لها زيادة إنتاجها من اللبن الآدمى، والبترول وترفع قدرتها على إنتاج هورمون النمو الذى حقق حلمها فأصبحت كائنات عملاقة .

لم يكن صوت عصفور العواصف يشبه شقشقة العصافير بل جؤار الفيلة، وصفير النسور، وأزيز المرجل عند الغليان، وهدير الريح وجلجلة الرعد. وكان أمير يشارك عصفور العواصف شدوه: صوته يشبه - أحياناً - تغريد عصفور الكناريا، وأحياناً أخرى صوت الشلال الذى يتدفق من شرخ فى جبل. والأطفال ينصتون إليهما معا.

ولما كف كلاهما عن الغناء، أيقن الأطفال أن مكروهاً قد أصابهما، فمن الممكن أن يكون أمير معتقلاً فى أحد السجون، ومن الممكن - أيضاً - أن يكون الحاكم قد أرسل قناصاً فظ القلب قام باغتيال العصفور الأزرق .

سيطر القلق على الأطفال الذين اعتادوا الاستغراق فى أنشودة الغضب كل يوم، وهم يحلمون بيوم يتحررون فيه من هذا السجن، وينامون فى أحضان أمهاتهم مستمتعين بأغانى الهدهدة والحكايات الخرافية. حتي الأطفال الرضع الذين كانوا يرضعون من أثداء صناعية ملأى بلبن البكتريا، كفوا عن الرضاعة، عندما توقف العصفور الأزرق وأمير عن الغنـــاء. حان موعد



الغداء فقرر الأطفال الإضراب عن الطعام الذى تنتجه مصانع البكتيريا من النفايات ونشارة الخشب ، وألقوا بالأوانى والصحون فى وجه الحراس الذين حاولوا إجبارهم على تناول الطعام .

أسرع الحراس بإخطار قائد المعسكر الذى أمرهم بعدم استخدام العنف، موضحاً أن هؤلاء الأطفال يرسلون إلى قصر الحاكم كعبيد وخدم حينما يكبرون، وحاول - بمختلف الوسائل- أن يهدئ ثورة الأطفال، وأن يمتص غضبهم.

قال أحد الأطفال لقائد المعسكر :

- " ماذا فعلتم بأمير وبالعصفور الأزرق ؟ " .

ورد القائد بهدوء :

- "لا أعلم عن أى عصفور تتحدث ! ولكننى أعلم أن أميرًا قد خرق لوائح المعسكر وهرب سرا، وإقتحم قصر الحاكم. وسوف أفعل ما فى وسعى لكى أخفف عنه العقوبه، بعد أن يتم القبض عليه وتجرى محاكمته " .

سمع الأطفال الملتفون حول الأسلاك الشائكة نشيجاً مكتوماً ثم هسهسة وهمهمة ثم صفيرًا وهديرًا ثم صياحًا وصراخًا، وأخيرًا، إكتملت أنشودة الغضب. وفوق سماء المعسكر كان العصفور الأزرق محلقًا يقود سربًا من عصافير زرقاء - تشكل حرف لا - متجهة صوب قصر الحاكم، وهى تلقى من مناقيرها آلافًا من بذور شجرة لا فى كل بقعة أرض خالية فى المدينة. لم تطق الأجنة التى كانت تتنفض داخل تلك البذور الانتظار شهورًا أوأيامًا أو ساعات أو لحظات، فمزقت أغلفتها، وقفزت على الأرض، وإختارت كل منها موقعًا مناسبًا غرست فيه جذورها وتمطت ،ومن الفور بدا جذعها شامخاً، فشربت من ريق المطر وشهد النحل، ثم انقضت ورقصت رقصة الحياة، فتشكلت فروعها وأوراقها الخضراء.

(٧)

الشجــــرة الأم...

فتح أمير كل نوافذ القصر لعصافير العواصف التى لم تتراء له بعد، لكنه سمع هفيف أجنحتها وأنغام شدوها تتردد فى الفضاء كصوت الشلال. أطل من إحدى النوافذ، فرأى أشجار (لا) تلتف حول القصر كعباءة خضراء. انتفضت جذوع الأشجار، وبرزت من خلاياها أثداء تتقطر بلبن النبات. زحفت العصافير الصماء البكماء بلهفة، وراحت تعب من الحلمات، وتتجرع جرعات كبيره من الحليب الطيب المذاق، حتي شرقت من حلاوته. بسطت أشجار (لا) من أوراقها الخضراء فراشاً وثيراً إستلقت عليه العصافير التى اعترتها حالة من الخدر الخفيف. وبرغم أن أميرًا قد تعلم النقش فى الحائط، والرقش فى الورق، والطبع فى الشمع والطين، كلما رأى مشهداً يهز كيانه - إلا أن يديه ارتجفتا حين أراد أن يرسم على الجدران هذا المشهد.

لاحت طلائع عصافير العواصف فى الأفق. شهق أمير من الفرح لرؤية العصافير الكسيحة تنتفض وتنهض فجأة، وتحاول تحريك أجنحتها وأرجلها، لكى تطير.

مسدت أشجار (لا) ريش العصافير المتصلب، ورفعتها بفروعها وحثتها على الرفيف، ثم أطلقتها عالياً هللت أشجار (لا) للعصافير التى استطاعت أن تطير. أما العصافير التى لم تحتمل تجربة الطيران وسقطت محبطة، فلن تدعها أشجار لا تستسلم لليأس. ورفعتها مرة أخرى. حلقت كل العصافير وشكلت كلمه (لا) وراحت تجرب مناقيرها وحناجرها، حتى استطاعت أن تشارك عصافير العواصف فى إنشاد أنشودة الغضب.

إنقضت العصافير على القصر ،وطاردت الحاكم الذى كان يمشى متبختراً فى دهليز رخامى وقد امسك بأوراق الإتفاقيه وزجاجه حبر متجهًا نحو غرفته الحصينة، ليلتقى الخنفساء البلياتشو، ويحقق حلمه. هاجمت العصافير الحاكم ومزقت أوراق الاتفاقية بمناقيرها، وسكبت زجاجة الحبر على ملابسه البرتقالية، ولم تأبه لطلقات الرصاص وهّراوات الحراس التى إنهالت عليها. خرجت الخنفساء البلياتشو من الغرفة الحصينة، فتساقط على جسدها الريش المخضب بالدم، ونظرت شذرًا إلى أمير الذى كان ممسكاً بعصفور يحاول تضميد جراحه، فحدق أمير فى وجهها متحدياً. لم تطق الخنفساء البلياتشو نظراته، وأطلقت نحو عينيه سائلها الزيتى الأصفر، فسقط مغشيًا عليه.



(٨)

قطرات المطر الحمراء...

اكتست السماء فوق معسكر الأطفال بلون الدم الأحمر القانى حيث امتلأت بمئات من عصافير العواصف الجريحة التى انثال دمها على وجوه الأطفال الملتفين حول الأسلاك الشائكة .

كان الأطفال ينتظرون بلهفة عودة امير من قصر الحاكم وقد أخذوا يتحرشون بالحراس غير مبالين ببنادقهم المصوبة نحو صدورهم، بينما كانت أشجار لا المنتشره حول المعسكر وداخله تشد من أذرهم وتحثهم على الصمود .

سقطت بعض العصافير الجريحة على أشجار (لا) فإحتضنتها بفروعها وقطرت من أثدائها عليها لبناً دافئاً لتبرأ من جراحها وانهمرت بعض العصافير الأخرى مثل قطرات مطر حمراء على صدور الأطفال وأكتافهم ورءوسهم فاغرورقت عيونهم وإنخرطوا فى نشيج مكتوم تأفف الجنود المدججون بالسلاح من قطرات الدم التى علقت بملابسهم فازدراهم الأطفال وشرعوا يحفرون الأرض بأياديهم الصغيرة حتى تهشمت أظافرهم وأعدوا قبرًا جماعياً لشهداء الثوره من العصافير.

تعلقت عيون الأطفال بالسماء وقد انبعثت منها صرخات حادة تصم الآذان ومن كبد السماء خرج طائر أرقط رأسه حمراء عارية من الريش وله منقاران مدببان يبلغ طول الواحد منها نحو المترين وأربعة أجنحه لا يقل إتساع الزوج الواحد منها عن ثلاثة أمتار انقض الطائر الأرقط على العصافير الجريحة التى كانت تترنح فى الفضاء ووضعها فى منقاريه ومرر على جروحها لعابه الذى كان له مفعول السحر فى علاجها.
تصور الأطفال الملتاعون أن الطائر الأرقط إلتهم العصافير وانتابت أحد الأطفال

رعدة تشبه رعدة الحمى وصرخ فى وجه رفاقه الذين فغروا أفواههم من الدهشة وجرى نحو إحدى أشجار (لا) وأخرج صرراً من تجويف بها كانت الصرر تحوى أسلحةالحرب من حجاره ومقاليع، وفى غضون دقائق قليلة كان كل طفل قد تسلح بمقلاع وحفنة من الأحجــار.
تلألأت السماء بالحجارة البيض التى كانت تلمع فى وجه الشمس والحجارة التى أطلق عليها الأطفال اسم بصاق القمر وحجارة المرو والبلور والمرمر وكلها التهمها الطائر العملاق بنهم فى لمح البصر وانقض على الصرر وازدرد ما بقى فيها من حجارة من دون أن يمس أى طفل بسوء ثم التفت إلى الأطفال بامتنان وأطلق العصافير من منقاريه فرفرفت حولهم وقد برئت من جراحها.

وبمزيج من الإعجاب والدهشة هلل الأطفال للطائر الأرقط الذى طار نحو الحراس فألقوا ببنادقهم فزعاً ولاذوا بالفرار لكن الأطفال لم يغفروا للطائر الأرقط التهامه لحجارتهم.

وعند بوابة المعسكر الرئيسية فوجئ الأطفال بسلحفاة مدرعة عملاقة لها قبعة من العظم على قمة رأسها، وذنب ثقيل مزود بأشواك ضخمة وتطلق من عينيها ومضات تشبه البرق. طوحت سلحفاة البرق ذنبها الضخم بشدة إلى اليمين واليسار مثل صولجان الحرب فأطاحت بالحراس المتجمهرين عند بوابة المعسكر. أما الحراس الآخرون الذين أفلتوا من هذا المصير فقد سقطوا مغشياً عليهم عندما ظهرت أمامهم آلاف من الحيات تشبه عمدانًا سميكة من الفضة تخرج من ثقوب بالأرض وتلتحم معًا لتشكل جبلاً شاهقًا يسد عليهم الطريــق.

(٩)

المساومـــــة...

أفاق أمير من غفوته فإذا به يجلس إلى مائدة فخمة زخرفت حواشيها بماء الذهب يتوسطها غزال مشوى وضع على صحن بيضاوى من الفضة تحيط به ثمار الرمان والتفاح والتين والسفرجل ولأنه كان بين النائم واليقظان فقد إعتبر ما يراه مجرد حلم من أحلام الجوعى وهو لم ير لحوماً أو فواكه طبيعية منذ سنوات ،فالحاكم القزم لم يشأ أن يضيع وقته مع النبات أو يرهق شعبه بمتاعب الحرث والبذر والرى والتسميد والحصاد - حسن ادعائه - مبررًا ذلك بأنه يستطيع عن طريق خبرائه تفكيك النباتات إلى خلايا منفردة ، ونقلها للبكتيريا التى تقوم بإنتاج محصول وفير من أنواع النباتات كافه فى وقت قصير ومن دون الحاجة إلى أرض أو شمس أو هواء ،وهذه الطريقة كانت تدر عليه ربحاً طائلاً خاصه أنه كان يحتكر بيعها وتوزيعها وتصنيعها وتصديرها أما المنتجات الأخرى التى إبتدعتها المخلوقات البكتيرية كاللحوم المصنوعة من النفايات البشرية - وهى لا تزال فى طور التجارب - فقد كان يرسل بها إلى معسكر الأطفال لاختبار ردود أفعالها على الصحة الآدمية قبل المجازفة بتصديرها للخارج.

رأى أمير الخنفساء البلياتشو تحرك زبانييها بانفعال، وهى تتحدث إلى الحاكم القزم عن الاتفاقية وعن الطائر الأرقط وسلحفاة البرق اللذين خالفا التعليمات وانضما إلى معسكر الثائرين وعن مخاوفها من نشوب ثورة الأطفال الثانية التى من الممكن أن تطيح به مثلما أطاحت ثورة المساخيط الأولى بأبيه.

بدا صوت الخنفساء البلياتشو كأنه زمجرة ذئاب تنهش فى جسد غزال محتضر

واعترت أمير حاله من الغثيان حتى كاد يفرغ ما بجوفة وسعل سعالاً حادًا فتوقفت الخنفساء البلياتشو عن حديثها مع الحاكم القزم وإلتفت إليه قائلة:

- " لقد أعددنا لك طعامًا شهيًا تكريمًا لشجاعتك فى القتال ضدنا بغض النظر عن الخصومة التى بيننا . . . فنحن نوقر الأطفال الشجعان ونحترمهم" .

وذيل الحاكم القزم كلامها ساخرًا:

- " من حقك أن تستمتع بهذه الأصناف النادرة من الطعام بعد المعركة الشرسة التى خضت غمارها ضدنا " .

إلتقط الحاكم القزم تفاحة وقضم منها قطعة كبيرة وإزدردها بنهم وهو يرمق وجه أمير ويتفحص ملامحه.

أحس أمير - من شدة الجوع - بأن حلقه مرًا كأن احدًا عصر فيه ثمرة صبار



فشرب جرعة من الماء حتى لا يقهره الشعور بالجوع ثم أطلق زفيرًا عميقاً وقال للحاكم القزم بازدراء:

"لن أستطيع أن آكل هذه الأصناف الفاخرة فلقد اعتدت - أيها الحاكم على مذاق الطعام الغث الذى ترسل به إلى معسكر الأطفال " .

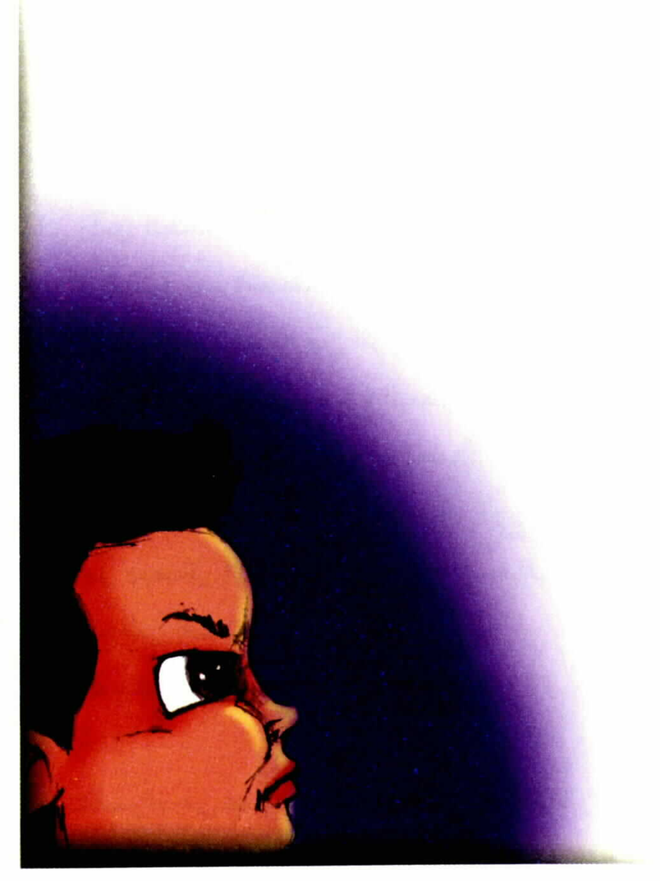
مدت الخنفساء البلياتشو زبانييها والتقطت ثمرة تين ووضعتها عنوة فى فم أمير الذى بصقها فى وجهها فاهتز جسدها غضبًا وقبل أن تلطمه بجناحيها تمالكت نفسها وقالت بصوت يشبه خوار البقر : " لا تكن مكابرًا لقد سمعت قرقرة أمعائك وزمجرة جوفك . . . فأنت تكاد تهلك من الجوع لابد أن ننتهى من هذا الأمر بسرعة لأننى أريد أن أناقش معك بعض الأمور التى تهم المدينة" .

أخرج الحاكم من خزانة المستندات أوراق الاتفاقية التى استنسخت من جديد وفحصها - بعناية - ثم ذيلها بتوقيعه وغمست الخنفساء البلياتشو زبانييها فى زجاجة الحبر وحذت حذوه، بينما هرول الحاكم ليحضر منشفة نظف بها قطرات الحبر التى علقت زبانى الخنفساء ثم إقترب من أمير وهو يحمل أوراق الإتفاقية وريشه من الذهب قدمها إليه قائلاً " سوف أعينك وزيرًا، وسأخصص لك قصرًا تعيش فيه مع أمك وأبيك، وسوف أعطيك قنينة من هورمون النمو لئلا تعود قزمًا مثل بقية الأطفال ولكن شريطة أن توقع الاتفاقية كشاهد على هذا الحدث التاريخى الجلل " . إغرورقت عينا أمير حين تذكر أبويه الذين كانا يهربان من مستعمرات البكتريا ليرياه فى المعسكر كل شهر أو شهرين من خلف الأسلاك الشائكه وإستعاد بأسى مشهدًا كان يتكرر فى كل مرة حينما يحاول أبواه تقبيله أو تحسس جسده فتدمى الأسلاك وجهيهما وأصابعهما وتملكه الكمد فتناول الريشة الذهبية من يد الحاكم وغرسها مباشرة فى بطن الغزال المشوى فتناثرت بقع الحبر على المائدة وإنتفض واقفاً ، وهو يقول بغضب " لا . . . لن أوقع هذه الإتفاقية . . . لابد أن يعود الآباء والأمهات من البشر والطيور والحيوانات

لأبنائهم ويعيشوا فى بيت واحد لن يصبح أى طفل ينعم بحنان أبويه قزماً " .
وأضاف أمير وهو يشير إلى الخنفساء البلياتشو:

" لن نسمح لهذه المخلوقات وللمخلوقات البكتيرية بأن تسيطر على مصير مدينتنا" .

إهتاجت الخنفساء البلياتشو، وأصدرت هديراً مخيفاً ورفعت أمير بزبانييها وقالت له حانقة: " المخلوقات البكتيرية هم سادة الأرض . . . وأنتم - أيها البشر - ستصبحون عبيداً لها "، ثم فتحت باب الغرفه الحصينه، وألقت به إلى الحراس آمرة إياهم بإيداعه الغرفه السرية مع الأطفال المساخيط، حتى يلتهموه حيـًّـا



(١٠)

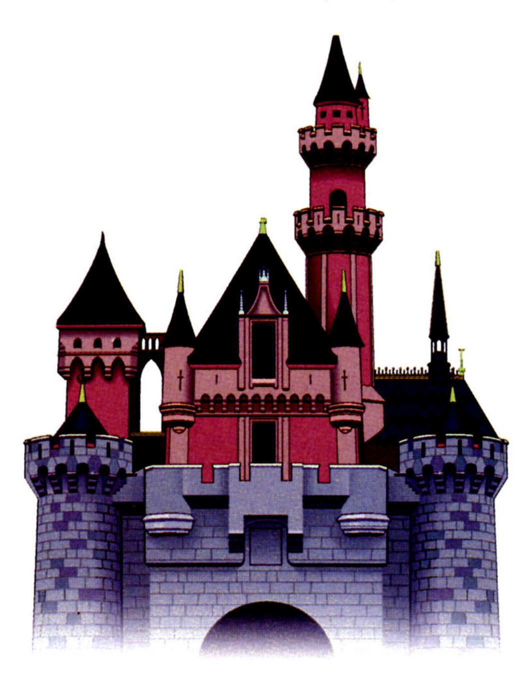
الطيور تحتل القصر...

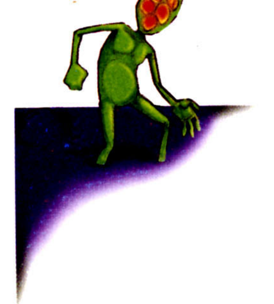
مشى الحاكم فى أروقة القصر متبخترًا متغطرسًا يهتز بدنه من الجذل والابتهاج بعد أن شرب هورمون النمو وأضحى عملاقاً تكاد تتزلزل الأرض تحت قدميه. وتمنى لو يستطيع أن يتجول فى معسكر الأطفال عارياً كما ولدته أمه فيراه الأطفال المشاكسون الذين يطلقون عليه سخرية رجلاً خزنبل لأنه مفرط فى القصر وقف أمام مرآة كبيرة، ولطم صدره بكلتا يديه كالغوريلا النزقة لكنه أصيب بالإخفاق فقد أحبطه مشهد رأسه الأصلع وحاجبه الأمرط وذقنه الأمرد؟ فقرر أن يلجأ إلى الخنفساء البلياتشو علها تجد له لدى المخلوقات البكتيرية دواء يعيد إليه شعره المفقود. فجاة وجد نفسه يلتفت كالممسوس حين ظهر فى المرآة سرب الغربان السود أخذت تلتف حوله وتكثر من نعيبها ونعيقها وصياحها كأنها تواجه صقرًا كبيرًا أو بومة أو ثعلبًا إنقضت الغربان على رأس الحاكم القزم الأصلع بمناقيرها ومخالبها حتى صرخ من الألم وضرب المرآة بقبضة يده فتحطمت وتناثرت شظاياها على الأرض الرخامية قعد الحاكم القرفصاء والتقت قطعه من الزجاج المكسور ،وظل يطعن الغربان التى إستوطنت رأسه حتى أدمى بعضها وصرع البعض الآخر ثم جرى وهو يرتعد نحو دهليز طويل يفضى إلى سلم حلزونى إلى أن تجمدت قدماه وقف متصلبًا يحملق بذهول فى أسراب الطيور التى احتلت الدهليز وهى تحمل فى مناقيرها وأقدامها أحجار المرو والمرمر وبصاق القمر، والأزهار، والأصداف، والحصى، وأوراق الشجر، وقطع الاسفنج التى إقتلعتها من الوسائد، وراعه أن يراها تبنى أعشاشها فى الجدران وفوق الأرائك وتنشئ الأرصفة ، والأنفاق والجسور لتيسر سبل الاتصال بينها .

دومت أسراب من عصافير الطنان حول الحاكم القزم الذى لم يستطع أن يحتمل طنين

أجنحتها برغم من أنه سد أذنيه بقدميه تعثرت قدماه وترنح إلى نهاية الدهليز حتى تدحرج على السلم الحلزونى ليسقط مثل كرة رخوة من الدهن ،نهض متثاقلاً وهو يشعر بأن ضلوعه قد تهشمت وبأن رأسه قد شج ، وأخز يخور كبقرة تتهيأ للنحر ويهذى كالمعتوه : " الإحتلال . . . الغزو . . . الخيانة . . . المؤامرة . . . أين الحراس . . . الوزراء ، أين الخدم والعبيد؟ احتلت الطيور القصر " .

كاد الحاكم القزم يموت كمدًا وهو يرى أميرًا ممتطيًا سلحفاة البرق يتبعه جيش من أطفال المعسكر مسلحين بالمقاليع والأطفال المساخيط الذين اعتقل معهم أمير فى الغرفة السرية والذين ادعى كذباً أنهم أتوا من الكواكب الأخرى وأطاحوا بحكم أبيه تقدم الأطفال يحملون الهراوات التى انتزعوها من الحراس ويطلقون من حناجرهم سيلاً من الهمهمات الغاضبة تحميهم مظلة جوية من الغربان والصقور والنسور والنوارس وعصافير العواصف، بقيادة الطائر الأرقط ومن دون أن يعترض طريقهم أحد غادر الجميع قصر الحاكم القزم.





(١١)

المعركـــــــة...

ما إن غادر الأطفال القصر، حتى فوجئوا بوحش عملاق له ستة قرون يعترض طريقهم ويحدث صوتًا يشبه صوت الرعد. تصدت سلحفاة البرق لوحش الرعد وإختبأ الأطفال خلفها وهم يرتجفون من الرعب.

دارت بين وحش الرعد وسلحفاة البرق معركة ضارية إستخدم فيها كل منهما أسلحته التقليدية فأشهر وحش الرعد قرونه الستة وكشر عن نابيه المقوسين المدببين اللذين يبرزان إلى أسفل من جانبى فكه العلوى ولجأت سلحفاة البرق إلى قبعة العظم التى تعلو قمة رأسها تارة وتارة أخرى إلى أشواكها الضخمة التى تبرز من طرفها كسيوف مبرزه. حملت سلحفا البرق على وحش الرعد حملتها الأخيرة فلطمته بذنبها الثقيل حتى طرحته أرضاً وأحدث سقوطه حفرة عميقة على قدر ضخامة جسده، وقفت سلحفاة البرق على حافة الحفره ترنو بأسى إلى وحش الرعد الذى كان يوشك على الاحتضار وإنخرطت فى نوبة من النشيج فاهتزت قبعة العظم حتى خيل إلى الأطفال أنها سوف تنفصل عن رأسها.

قال لها أمير بدهشة:

- "لم تبكين ؟". وردت سلحفاة البرق بصوت متحشرج:

لقد كان خرتيتًا مسالمًا . . . لا ذنب له فيما حدث . . . إنه مجرد ضحية من ضحايا الحاكم القزم والخنفساء البلياتشو فقد أحالاه إلى مسخ يثير الرياء والسخريه عن طريق جرعة زائدة من هورمون النمو وأضافت سلحفاة البرق وهى تشير إلى الأطفال المساخيط: "وهؤلاء الأطفال المسالمون الوادعون مثل الملائكة هم أيضًا من ضحايا هورمون النمو".

تناهى إلى سمع الأطفال الزئير الغاضب للخنفساء البلياتشو التى كانت تهرول نحوهم وتطلق سيلاً دافقًا من سائلها الزيتى الأصفر وسائلها الحارق فغر الأطفال أفواههم من الدهشة عندما تقدم الأطفال الملائكة نحو الخنفساء وانقضوا عليها يضربونها بأيديهم التى تشبه أظلاف الثيران، بينما يتناثر الزبد من أشداقهم على جسدها العملاق غير مبالين بأجنحتها أو درعها الصلب أو زبانييها اللذين أشهرتهما فى وجوههم .

نظم أمير صفوف رفاقه، وجهزوا مقاليعهم وأطلقوا وابلا من الحجارة المدببة على رأس الخنفساء البلياتشو التى إستشاطت غضباً فأطاحت بالأطفال المتشبثين بجسدها وهرولت نحو القصر لتخرج بعد لحظات يصحبها جيش من الوحوش الخرافية التى تشبه الماموث والنمر السيفى الناب، متجهة نحو الأطفال الذين تجمدت أقدامهم من الهلع وسدوا آذانهم بأيادهم، حتى لا يسمعوا الزئير والهدير والجؤار والخوار الذى أطلقته تلك الوحوش. وبعقب الوحوش الخرافية، خرجت من القصر كائنات صفراء بلون الكركم تقطع مسافات كبيرة بوثبات سريعة وبمجهود بسيط كأن بعضها مكعب الشكل له رأس مربع وأقدام تشبه خيوط العنكبوت، لكنها صلبة للغاية، والبعض الآخر أسطوانى الشكل ذو رأس مستدير وأقدام تشبه عناقيد العنب.

صرخت سلحفاة البرق فى وجوه الأطفال ليفيقوا من ذهولهم، وأشارت عليهم بضرورة الانسحاب لكيلا يتعرضوا للهلاك. انحدرت دمعتان من مقلتى أمير وهو يقود عملية الانسحاب فى الوقت الذى تتصدى فيه سلحفاة البرق بمفردها لجيش الوحوش الخرافية الذى تدعمه طلائع المخلوقات البكتيرية والحاكم العملاق يجرى نحو الخنفساء البلياتشو مزعورًا مطاردًا من الطائر الأرقط الذى ينقر رأسه الأصلع بمنقاريه الحادين ويلطمه بأجنحته الأربعة ثم يتركه مضطرًا ليساند سلحفاة البرق فى معركته الشرسه مع الوحوش الخرافيــة.

(١٢)

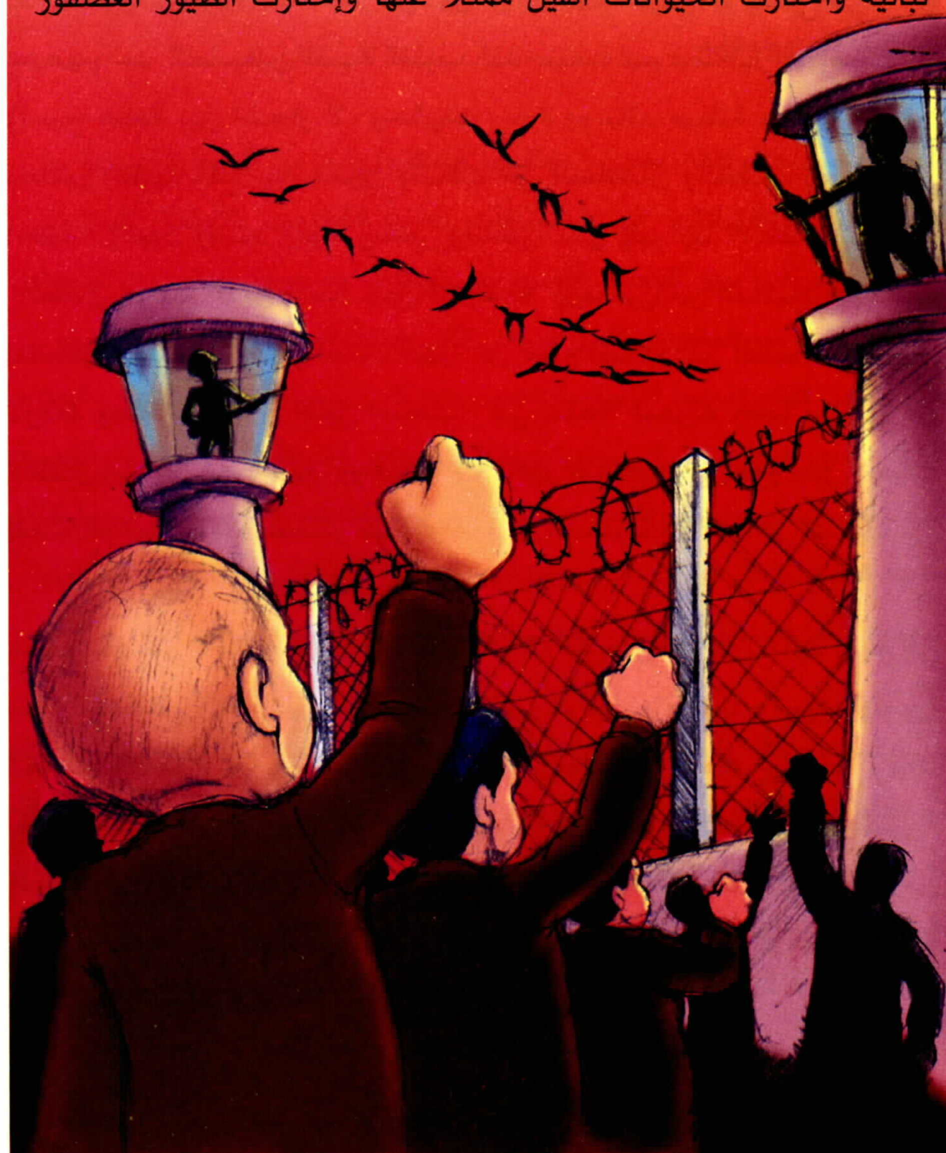
الثــــورة...

لأول مرة منذ أن ولدوا – يصبح الأطفال سادة أنفسهم – فهم يلعبون الآن كما يشاءون، ويجوبون المعسكر من دون أن يردعهم حارس، أو يصرخ في وجوههم أحد المشرفين القساة القلوب. لقد صنعت لهم عصافير العواصف أراجيح معلقة بين أشجار لا، وحشيات رخوة ووسائد مبطنة ببطانة وثيرة يستلقون عليها وهم يتأرجحون وشكلت من الصلصال والخشب دمية ملونة لأحصنة وفهود وأسود وفيلة ونسور وصقور، لكى يلهو بها الأطفال الملائكة والأطفال الرضع الذين التفوا حول أشجار لا يرضعون من أثدائها. ولم تكتف العصافير بذلك بل إنها ساعدت أميرا فى صنع تمثالين من الصلصال للطائر الأرقط وسلحفاة البرق الذين استشهدا فى ساحة المعركه وهما يزودان عن الأطفال ويؤمنان أنسحابهم، ووضعت العصافير التمثالين فوق قمة جبل الحيات الفضة الرابض أمام المعسكر حتى تراهما كل المخلوقات الحية فى المدينة .

أضحى معسكر الأطفال من أغرب المعسكرات التى عرفها التاريخ فهو يضم إلى جانب الأطفال وعصافير العواصف فيلة وغزلانًا وزرافات وأسودًا ونمورًا وأحصنة وصقوراً ونسوراً ونوارس وحماماً ومخلوقات أخرى متنوعه ، وقد وحدهم جميعاً موقف واحد هو تحرير المدينة من سيطرة المخلوقات البكتيرية والخنفساء البلياتشو وعزل الحاكم القزم وإلغاء القرارات التى عزلت الأطفال من مختلف المخلوقات الحية عن آبائهم وأمهاتهم ، وإيلاء سدة الحكم مجلساً ثورياً من الأطفال يتم إنتخابة بالاختيار الحــر.

دار العصفور الأزرق على جميع المخلوقات فى المعسكر وأبلغهم بضرورة عقد

إجتماع فورى لبحث السبل الكفيلة بتأمين الغذاء، وحماية المعسكر من الهجوم المرتقب من المخلوقات البكتيرية والوحوش الخرافية وتلقى وعداً من الطيور والحيوانات آكلة اللحوم بألا يضطرها الجوع إلى إلتهام الحيوانات والطيور الأخرى آكلة الأعشاب وبأن تتنازل مؤقتًا عن طبيعتها وتصبح كائنات نباتية واختارت الحيوانات الفيل ممثلاً عنها وإختارت الطيور العصفور



الأزرق، أما الأطفال فقد إستقروا جميعًا على إختيار أمير، وتقرر أن يكون الاجتماع فى الساحة الكبرى.

بدأ الاجتماع بكلمة تحدث فيها أمير عن ضرورة إلغاء الدستور الحالى، ووضع دستور جديد يضمن كل الحقوق والحريات لكل المخلوقات الحيه، وفى نهايتها فوجئ المجتمعون بأشجار لا تلتف بكليتها ، فروعها تطقطق، وجذوعها تنحنى. وعلى مرمى البصر،كانت جموع هائلة من البشر تهرول نحو المعسكر، وقد ضمت جنوداً وخدماً وعبيداً وطهاة ونجارين وحدادين وبنائين ونساجين واناسًا آخرين من مختلف المهن، واستبان الجميع صررًا وأجوله وعصيًا وأسلحه أخرى متنوعه يحملها القادمون وهم يلوحون بأيديهم لأبنائهم وترامت إلى الأسماع أنشودة الغضب بأصوات تختنق بالبكاء، بينما العيون تنظر بأسى إلى تمثالى الشهيدين الرابضين على جبل الحيات الفضة. ركضت الأمهات حتى تجاوزن الجموع الزاحفة وعدون باتجاه أبنائهن الذين كانوا يمصون أثداء شجرة لا. مزقت الأمهات ثيابهن وقد تفجرت الأثداء بالحليب، فتدفق كنهر يروى الجذوع والفروع ووجوه الأطفال الذين حبوا نحو صدور الأمهات، وتشبثوا بالحلمات، وراحوا يعبون بنهم من اللبن الدافئ وهم يبكون ويصرخون ويضحكون فى آن واحد!



(١٣)

المطـر الأسـود...

عثر كل الأطفال فى المعسكر على آبائهم وأمهاتهم عدا أمير والأطفال الملائكه.

إنحدرت دمعتان من مقلتى أمير لما رأى الأمهات يهزهزن أطفالهن، وينشدن لهم أغنيات الهدهدة ، ويداعبن أشجار (لا) التى رقصت فروعها، وتمايلت جذوعها مع إيقاع الأغنيات العذب. ولشد ما اندهش لرؤية الأطفال الملائكة الذين لم يعثروا مثله على آبائهم وأمهاتهم وسط الجمع يشاركون الأمهات عناءهن، ويلتفون حولهن، ويرقصون. فى البدء إنطلق شدو أمير همهمة فهمسًا، حتى أضحى كصهيل الأحصنة وهى تركض فى مياه الشلال المتدفقه من الجبل، ثم إختنق صوته بالدموع وانخرط فى النحيب والصراخ والصياح. إلتف الأطفال الملائكة حول أمير، وراحوا يربتون على خديه ويمسدون شعره ويقبلون جبهته ويرجونه بالإيماءات والصياح المبحوح أن يكف عن البكاء.

أصدرت الريح أنينًا مكتومًا، وتشكلت فروع أشجار لا على هيئة أكف متضرعة إلى السماء، وتدفق الحليب من أثدائها ، فحملته الريح إلى الذرا من فوق جبل الحيات الفضة . ومن حليب أشجار (لا)، تشكلت سحابات بيضاء لها أجنحة زرقاء، ووجوه بشوشة كوجوه الغزلان. حمل طفل ملائكى أميرا على كتفية وقذفه لأعلى. ضحك أمير كمهر وليد، حين إلتقطته سحابه بيضاء ورفرفت به فوق أشجار (لا) التى نثرت عليهما عصارتها وأوراقها المخملية الخضراء.

زمجرت الريح وأصدرت صفيراً يشبه صفير الإنذار وإرتجت أشجار (لا) وأحدث إرتجاجها صوتاً يشبه صلصلة السيوف فوضعت السحابة البيضاء أميرا على إحدى أشجار لا يدها المرتجفتين لمح امير غباراً كثيف الإصفرار يتصاعد من خلف جبل الحيات الفضة تدفعه رياح هوجاء نحو المعسكر فانقبض صدره وارتعدت السماء وجلجلت وإسودت وجوه السحابات البيضاء من الغضب وطارت نحو الغبار الأصفر تتصدى للمخلوقات البكتيرية التى كانت تشق طرقها إلى الثائرين بوثبات متلاحقة.

قفز أمير من فوق الشجرة وفى خارج المعسكر شاهد آلاف المناقير والمخالب والحوافر والأكف والأقدام والأظافر والأظلاف تحفر خندقًا عميقًا حول المعسكر لتصد زحف المخلوقات البكتيرية فحذا أمير حذوها وشاركها فى الحفر حتى نزفت يداه دمًا. وعلى حافة الخندق وقف أمير مندهشًا لمنظر السحابات السوداء وهى تهاجم المخلوقات البكتيرية وتنقر رءوسها المربعة وتلطم أجسادها المكعبة بأجنحتها. تملك اليأس امير من جراء ما رأى كانت السحابات السوداء كلما قتلت مخلوقًا بكتيريًا خرج من جسده مخلوقًا آخر يشبهه تمام الشبه يستكمل زحفه نحو المعسكر لكن السحابات السوداء لم تيأس ولقد رفرفت نحو الخندق، وشرعت تسكب مطراً أسود من القطران الساخن عبرت المخلوقات البكتيرية خندق القطران بلا مبالاه ومن دون أن يمسها ضرر، ثم انتظمت فى صف واحد أمام الطيور والحيوانات والرجال والنساء والأطفال الذين كانوا متحفزين لقتلها خرج قائد المخلوقات البكتيرية ذو اللون البرتقالى على رأس الحشود وقال لجموع الثائرين بصوت يشبه قرقرة الأمعاء " لن نمسكم بسوء إذا قبلتم الاعتراف بأن المخلوقات البكتيرية هى سادة الأرض ورضيتم بحكم الخنفساء البلياتشو، وقد امتلكت ناصية الملك بعد أن عزلنا الحاكم المخبول الذى اختل عقله عقب هروب الجميع من القصر، ثم أشار قائد المخلوقات البكتيرية نحو أمير بيديه اللتين تشبهان القوس المشدود وأضاف : " وشرطنا الأخير أن يتم تسليمنا هذا الطفل المشاغب لينال جزاءة " .



(١٤)

لحظـــة يـــأس...

كان الفيل حكيمًا حين طلب إلى قائد المخلوقات البكتيرية مهلة للتشاور مع المجلس الثورى للأطفال، قاصداً من ذلك أن يلتقط الجميع أنفاسهم، بعد أن صعقتهم المفاجاة، وشل تفكيرهم الخوف. لقد بدا أن الجيش الذى يواجهونه لا يقهر وإن كان فى حوزتهم مدافع الليزر. فكل مخلوق بكتيرى ينقسم إلى اثنين وفى غضون ساعات قليله يصبح الجيش جيشين ثم أربعة جيوش ثم ثمانية وهكذا إنها مخلوقات تتكاثر بجنون من دون حاجة إلى متاعب الحمل والولادة، مخلوقات لا يتدرج نموها عبر مراحل الصبا والشباب والكهوله، وإنما يخرج الوليد لتوه شابًا يافعًا قادرًا على الحرب والقتال، ولحظه أن يموت تتجدد حياتة فى مخلوق آخر يخرج من جسده له الملامح والصفات ذاتها.

أحس الفيل بدوار، وتهدل خرطومه من الدهشه عندما إنقسم قائد المخلوقات البكتيرية إلى قائدين ثم أربعة قواد ثم ثمانية، وقال له القادة الثمانية بصوت واحد يمتلئ صلفًا وغرورًا: " لقد وافقنا على المهلة المطلوبة مدة ساعه فقط، وإن كنا على يقين من أنه ليس أمامكم خيار آخر غير القبول بشروطنا، لكننا أعطيناهم هذه الفرصة، لكى تخرسوا الأصوات التى تتشدق بالعبارات الثورية الجوفاء التى لا طائل من ورائها".

وأشار الفيل بخرطومه إلى الجموع المحتشدة من الرجال والنساء والأطفال والطيور والحيوانات فدخلوا المعسكر بخطى وئيدة متثاقله وهم يصدرون همهمات غاضبة. لكن أمير لم يبرح مكانه وجهز مقلاعه ليطلق حجارته على المخلوقات البكتيرية فمد الفيل خرطومه وحمله عنوة ودخل به المعسكر قسرًا حاول أمير ان يتخلص من خرطوم الفيل، بيد أن محاولته ذهبت سدى. ظل يضربه بيديه الصغيرتين، ويعضه

ويخمشه بأظافره، حتى أصابه الإعياء وإستسلم لنوبة من النشيخ والبكاء. حرر الفيل أميرا من قبضة خرطومه، وأنزله إلى الأرض برفق وأصدر هديرًا غاضبًا وقال له: " لا تكن أحمق! نحن فى حاجة إلى هذه المهلة لنفكر فى وسيلة غير مألوفة لقهر هذا العدو الرهيب. لكننا لن نستسلم أبدًا مهما كانت العواقب ".

نكس أمير رأسه صاغرًا، ومشى داخل المعسكر وهو يوزع نظراته الساخرة بين مقلاعه وكومة الحجاره التى يضعها فى كيس من القماش، ثم طوح بهما بغيظ، فسقط فى خندق القطران. إتكأ أمير على إحدى أشجار (لا)، وراح يقدح عصارة ذهنه متلمساً وسيله لقهر المخلوقات البكتيريـــة قبل انتهاء المهلة المحددة . . . لقد قرأ من قبل عن حيوانات تأكل النمل، وزهور تلتهم الذباب، وطيور تفترس الحشرات . . . فمن المنطق أن توجد كائنات تأكل البكتيريا!

إنتفض أمير واقفًا، وقرر للوهلة الأولى أن يخبر رفاقه بهذه الفكرة التى ومضت فى ذهنه. ثم عاد وجلس مرة أخرى محبطاً ! إذ بدت له فكرته محض خيال، فأين يمكنه العثور على آكلات البكتيريا، وإن هو عثر عليها فكيف يكون بمقدورها أن تلتهم مخلوقات بمثل تلك الضخامة العددية ؟!

كاد أمير يقع على ظهره، عندما إنحنت شجرة لا التى يتكئ عليها بكامل جذعها غير آبهه بالبخار الساخن الذى لفحها وحرق أوراقها، وامتدت كجسر يعلو خندق القطران. ولم يصدق أمير عينيه وأبواه يعبران ذلك الجسر، وشهق من الهلع وهو يرى فرقة من جنود البكتيريا تطاردهما. وبمجرد أن وطأ جنود الفرقة جسر شجرة (لا)، إقشعر بدنها، ولم تطق خلاياها دبيب أقدامهم العنكبوتية وملمسها اللزج، وانتفضت إنتفاضة هائلة قاذفة بهم فى الفضاء، حتى سقطوا على جبل الحيات الفضة وهم ينفجرون غيظاً .

(١٥)

آكــلات البكتيريــا...

لم يستمتع أمير كثيرًا بشعوره بالفرح الذى هز كيانه عندما إلتقى بأبويه، لأن الشعور بالخطر تملكه تماماً، وطغى على مشاعره الأخرى.

تأهب الجميع للقتال، وبعد أن أخبرتهم طلائع الصقور المتربصة فوق أشجار (لا) بأن المخلوقات البكتيرية تتقدم نحو المعسكر، وقد استقرت فيتها - على الأرجح - على اقتحامه قبل انتهاء المهلة المحددة.

استعد الرجال والنساء والأطفال بأسلحتهم المتنوعة من عصى وسياط وحبال وحجارة وخناجر، برغم تيقنهم من أن تلك الأسلحة لا تستطيع أن ترد عدوهم، لكنهم قرروا أن يكافحوا إلى آخر قطرة من دمهم، من أجل نيل حريتهم.

تشابكت أشجار (لا) فروعًا وأغصانًا وجذوعًا، وصارت سدًّا شجريًّا يحيط بالمعسكر من جوانبه كافة. وخلفه السد، إصطفت الأفيال متأهبه بخراطيمها، لملاقاة جنود العدو الذين ينجحون فى تخطى هذا الحاجز ،والتسلل إلى داخل المعسكر.

كانت الاستعدادات تجرى على قدم وساق، وفق الخطة التى رسمها وأقرها المجلس الثورى، وقد خيم الصمت على المعسكر إلا من أصوات قرع الأسلحة وهى تنقل خلف الإستحكامات، ودقات الثائرين على الأرض وهم يتحركون إلى مواقعهم المحددة وفجأه، قطع الصمت صراخ أبوى أمير وهما يهرولان نحو الصرر التى كان الآباء والأمهات يحملونها عند قدومهم إلى المعسكر . لحق أمير بأبويه عند موضع الصرر،

فبادرته أمه قائلة وهى تلهث:" يا ولدى . . . لو ألقينا بهذه الصرر الملأى بهورمون النمو فى خندق القطران لنمت آكلات البكتيريا فوراً إلى الحجم الذى يمكنها من إفتراس المخلوقات البكتيرية، وإعاقة تكاثرهـــا " .هلل أمير من الفرح وزعق فى الفضاء: " إن الفكرة التى داعبت خيالى من قبل حقيقة وليست محض خيال".

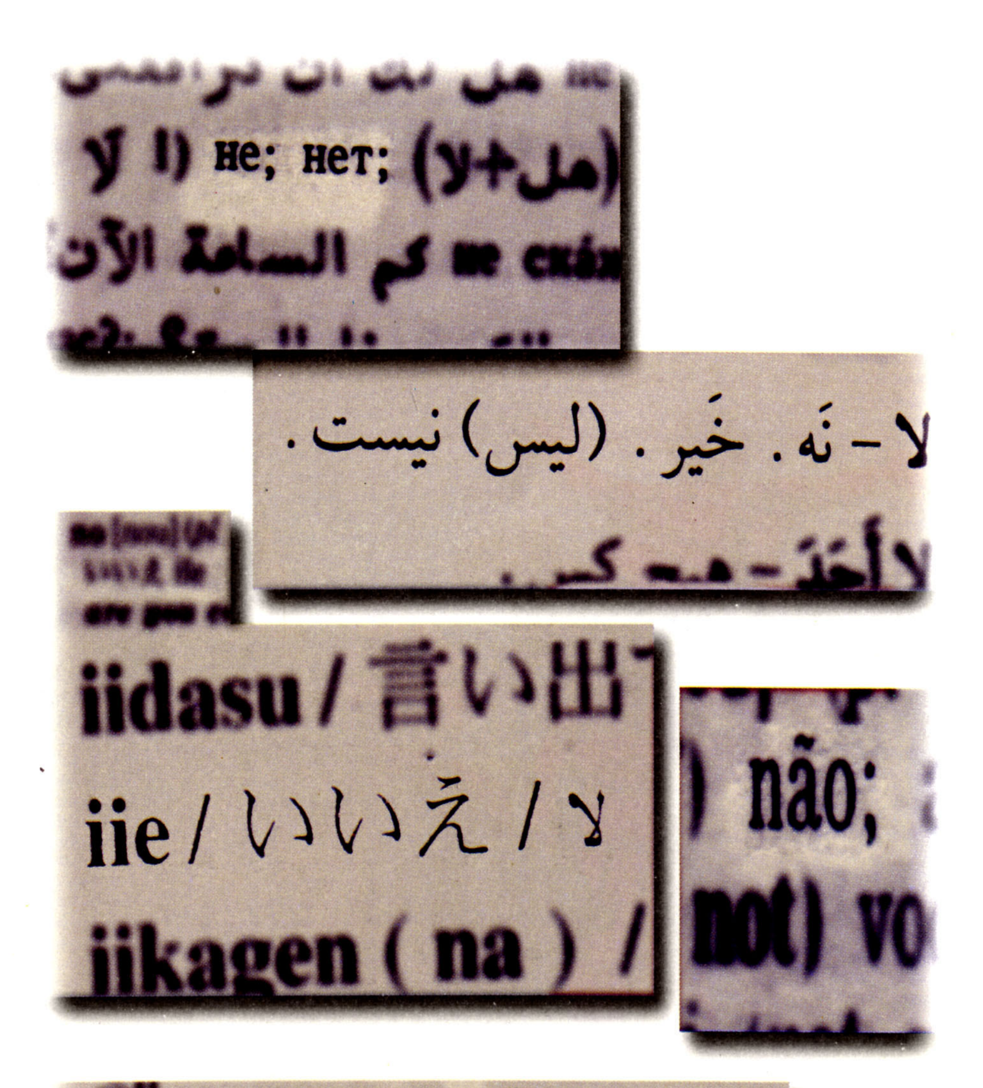
إحتضنته أمه، وربتت على خده، وقالت له " لكننا، يا ولدى، لا نعلم كيف نستطيع الخروج من المعسكر بهذه الصرر، وجنود العدو يحكمون علينا الحصار".

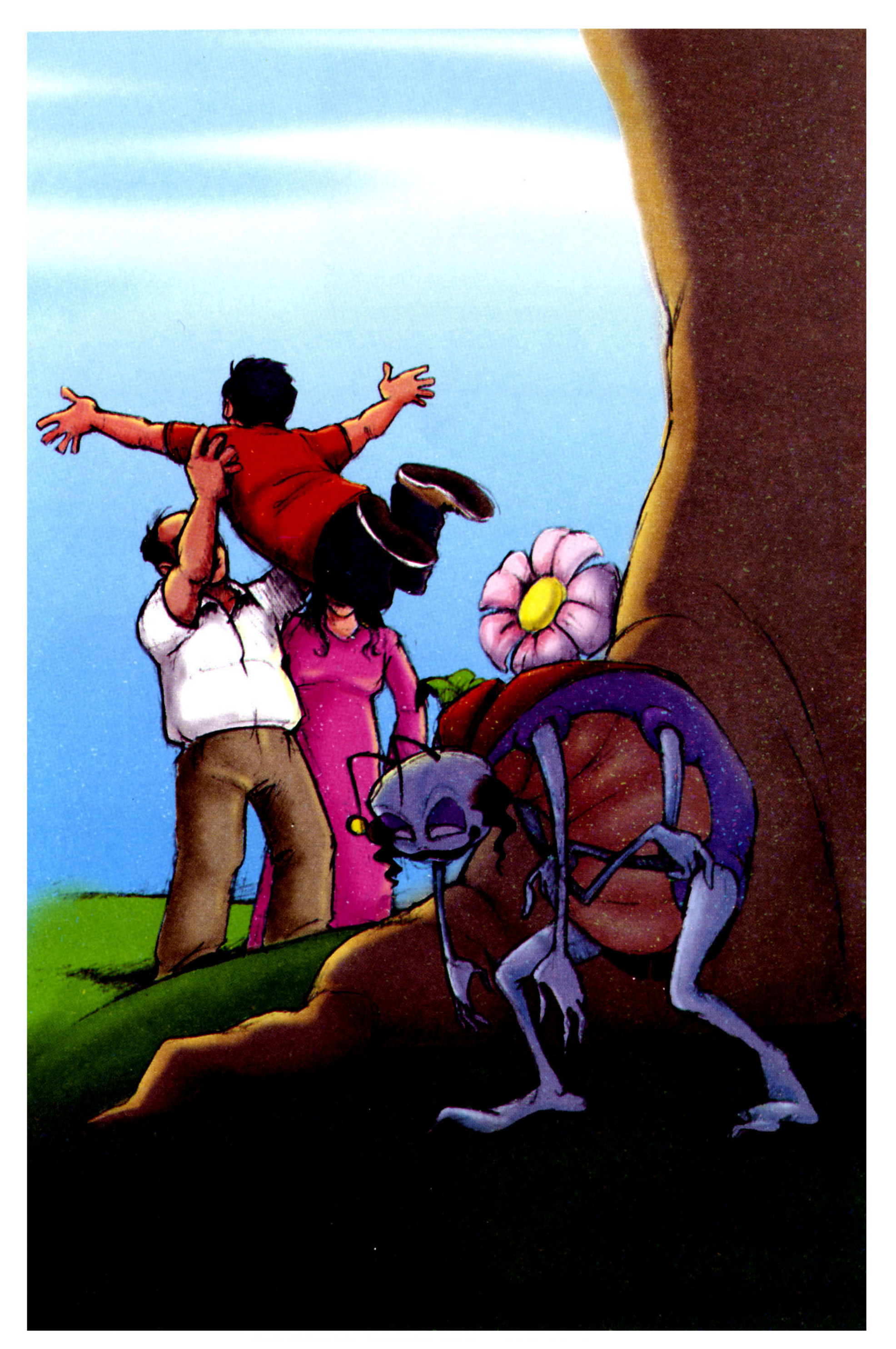
تلفت أمير حوله فى حيرة، وقد سمع رفيف أجنحة العصفور الأزرق العائد توًا من جوله استطلاعية خارج المعسكر.

همست شجرة (لا) فى أذن أمير بفكرة راقت له، وأثلجت صدره، فأسر بها إلى العصفور الأزرق الذى نقلها بدوره إلى الطيور المقاتلة.

بدأت الطيور من الفور وبحماسة بالغة فى تنفيذ مهمتها انقضت أسراب الصقور والنسور والنوارس وعصافير العواصف تلتقط الصرر بمناقيرها، وتلقى بها فى خندق القطران. تشبثت بعض الأمهات بصررهن، إذ أتين بها معهن ليسقين الأطفال هورمون النمو، لكيلا يصبحوا أقزامًا. وحال أمير بينهن وبين الطيور التى كادت تنقر وجوههن فى سبيل إنهاء مهمتها فى الوقت الملائم.

قال أمير للأمهات معاتبًا: " كيف تصدقن تلك الأكذوبة التى أطلقتها الخنفساء البلياتشو؟! لن يصبح اى طفل فى المدينة قزماً عندما يعود إلى أحضان أبويه".





نظرت الأمهات إلى امير بريبة مشوبة بالحذر، وخبأ بعضهن عددًا من الصرر فى جيوبهن، وسمحن للطيور بأن تحمل ما تبقى منها .

جن جنون المخلوقات البكتيرية حين رأى أسراب الطيور تحلق فوق خندق القطران، لأنها أدركت بذكائها الفطرى جوهر الخطة المدبرة ضدها . إقتربت الطيور من الخندق فاشتبكت معها المخلوقات البكتيريه واستطاعت ان تفتك بطائر النورس وعصفور من عصافير العواصف، وأحد الصقور وبرغم ذلك إستطاعت الطيور الأخرى أن تتم مهمتها بنجاح، وتعود إلى المعسكر سالمة .

أرسل خندق القطران بريقًا يشبه لآلئ الشمس والقمر وتألق البرق وأصدر أزيزا يشبه صوت البركان قبل تفجره ثم أطلق حمماً من النار المستعرة تقاطرت علي جبل الحيات الفضة، فتفسخت عمدانه رويداً رويداً وإنصهرت حتى إستحالت إلى بركه من الفضة تفور من الغليان. ومن ألسنة النار خرجت آكلات البكتيريا الحمراء ذات الأقدام المخروطية وإنقضت على المخلوقات البكتيرية التى شلت أقدامها من الذهول. وقف الأطفال والرجال والنساء على السد الذى أقامته أشجار (لا) يتابعون المعركة وهم متحفزون، كانت آكلات البكتيريا تلتصق بأجساد المخلوقات البكتيرية ، وتلف أقدامها المخروطية حولها ، وبعد لحظات تنتفخ المخلوقات البكتيرية كمنطاد كبير ثم تنفجر وتتناثر خلاياها الصفراء فى الفضـــاء.

لم يكن فى حسبان أحد أن تأتى الخنفساء البلياتشو فى هذا الوقت، فترى رأي العين إندحار سادتها من المخلوقات البكتيرية . وقد هال الجميع قدومها وهى تعدو نحو المعسكر بينما يطاردها جيش من الوحوش الضارية التى أصرت على الفتك بها

وبمنتهى الحقد والعنفوان دفعت الخنفساء البلياتشو بالوحوش الضاريه إلى بركة الفضه المنصهره التى أغشت عيونها فسقطت فيها صرعى. ومنذ ذلك الحين صارت تماثيل فضه فى متحف من متاحف التاريخ الطبيعى.

ووقفت الخنفساء البلياتشو تحملق ببلاهة فى آكلات البكتيريا التى تشبه سادتها تماماً وتقف امامها صفاً واحداً. فردت أجنحتها العملاقة وطارت قاصده أميرا الذى كان واقفاً على السد الشجرى. لكن الأفيال تصدت لها بخراطيمها وأنيابها ودارت بينهما معركه رهيبة. فتكت خلالها بعدد من الأفيال، وتوجهت صوب أمير تحملها الرغبة فى الانتقام منه. القى عليها الأطفال وابلاً من حجارتهم المدببة، وانقضت عليها الطيور بمناقيرها وأقدامها. حتى النساء اللاتى خبأن الصرر من أجل أطفالهن، قذفن بها فى وجه الخنفساء البلياتشو بيد انها تجاوزت كل هذه العقبات، وأخيراً بدون تفكير تصدى لها الرجال بالعصى والخناجر، فأطاحت بهم يمنة ويسرة ومدت زبانيها لكى تمسك بأمير وتفتك به. وحينما رأت أبويه يقفان حائلاً بينها وبينه، أصدرت هديراً مخيفاً، وأطلقت عليهما سائلها الزيتى الأصفر، فسقطا مغشيًا عليهما.

وإقتربت الخنفساء البلياتشو من أمير ببطء، وقالت بصوت يشبه فحيح الحية " لقد حانت لحظة إنتقامى . . . لن يستطيع أحد أن . . . " .

لم تكمل الخنفساء البلياتشو جملتها! تحشرج صوتها، وأخذ جسدها يتضاءل بالتدريج! فعند هذه اللحظة، إنتهى مفعول هورمون النمو. وشيئًا فشيئًا، عادت خنفساء صغيرة الحجم تافهة لا حول لها ولا قوة. نظر أمير إليها بسخرية وهم بأن يطأها بقدمه، لولا أن أفاق أبواه من غفوتهما فتركها لحالها واندفع نحوهما، وإرتمى فى حضنيهما ثم انضم ثلاثتهما إلى الجموع المحتشدة التى كانت ترقص طربًا فرحة بالنصر.

